خالد بن عبد العزيز

الملك الإنسان

١٣٣٣ : ١٤٠٢ هـ — ١٩١٤ : ١٩٨٢ م

فجع المسلمون والعرب بل وكل المحبين للخير والسلام والعدل في أنحاء العالم أجمع بوفاة الملك خالد بن عبدالعزيز صباح الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م.

وهذا العدد من مجلة «الدارة»– وهي لسان لدارة الملك عبد العزيز التي تتشرف بحمل إسم مؤسس المملكة العربية السعودية، والد فقيدنا الغالي واخوانه الميامين هو أول عدد يصدر بعد رحيل جلالته. ومعروف لدى الجميع أن من أولى مهام «الدارة» ومجلتها البحث في تاريخ هذه البلاد. وقد أصبح خالد الملك الآن في ذمة التاريخ. وهذه السطور هي من نبع الألم على فقده أكثر منها دراسة لعهده إذ أن هذا العمل سوف يقوم به– ولاشك المتخصصون في التاريخ. فسوف يكتبون عن عهد جلالته العديد من المؤلفات حتي تفي ببعض ما قدم– غفر الله له– لبلاده وللمسلمين وللعرب.

ولد خالد بن عبدالعزيز عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م. وفي طفولته حفظ القرآن وتلقى الدروس الدينية، ولما شب أسهم في الأعمال الجليلة التي قام بها والده العظيم من أجل توحيد المملكة وتثبيت كيانها، وتولى إمارة «مكة» فترة من الزمن، ورأس وفد المملكة في المفاوضات التي أدت إلى إقرار السلام ورسم الحدود مع اليمن الشقيق في معاهدة الطائف عام ١٣٥٣هـ. وصحب أخاه فيصل لحضور مؤتمر لندن عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) الخاص ببحث قضية فلسطين، اختاره الفيصل رحمه الله ليكون نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وفي ٢٧ من ذي القعدة ١٣٨٤هـ (٢٩ من مارس ١٩٦٥م) أصبح وليا للعهد.

إلى جنة الخلد يا خالد

وعلى إثر إستشهاد الفيصل في ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ (٢٥ من مارس ١٩٧٥ م) بايع الشعب السعودي جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ملكا على المملكة العربية السعودية، كما بايع حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز (آنذاك) وليا للعهد ونائبا أول لرئيس مجلس الوزراء، وأختير في نفس الوقت سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء.

وحينما تولى جلالة الملك خالد -رحمه الله- عرش البلاد عام ١٣٩٥ هـ تسلم مملكة موطدة الأركان: كان والده العظيم عبدالعزيز آل سعود قد وحدّها على دعائم من الإيمان والحزم، وكان الأمن قد إستتب في ربوعها، وبدأت فيها حركة النهضة. وخاصة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية -حينما بدأت البلاد تجني ثمرات إكتشاف النفط فيها، ثم خلفه إبنه سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- فواصل العمل على إنهاض البلاد في مختلف الميادين، ثم جاء عهد الفيصل -غفر الله له- فكان عهد إصلاح مالي، ثم إنطلاقة في ميادين النهضة في كافة مجالاتها، وتميزت هذه النهضة بالتخطيط العلمي السليم إذ وضعت الخطة الخمسية الأولى. ١٣٩٠ هـ-١٣٩٥ هـ (١٩٧٠ م-١٩٧٥ م) وكانت موارد البلاد قد زادت بعد إرتفاع أسعار النفط عالميا. كما أن الفيصل -رحمه الله- قد وضع أسسا راسخة للتضامن الاسلامي ونذر نفسه لمناهضة الشيوعية والصهيونية والإستعمار. وكان لحكمته ومواقفة الجريئة في نصرة قضايا العرب والمسلمين -وبصفة خاصة القضية الفلسطينية- أن أصبحت للمملكة العربية السعودية مكانة عظيمة.

وكان أول ما أعلنه الملك خالد بن عبدالعزيز أثر توليه العرش أنه سوف يسير على نفس درب سلفه العظيم. ونستطيع أن نقول الآن -وبكل الصدق- أن جلالته رحمه الله قد برّ بما وعد فقد تواكب تنفيذ الخطة الخمسية الثانية للتنمية مع تولي جلالته عام ١٣٩٥ هـ. وبلغ إجمالي المتطلبات المالية لهذه الخطة مبلغ ٤٩٨٢٣٠٫٢ مليون ريال سعودي أي بنسبة ٨٫٩ إلى الخطة الخمسية الأولى وتغطي تنمية الموارد الاقتصادية والموارد البشرية والتنمية الإجتماعية وإنشاء التجهيزات الأساسية والإدارة والدفاع والمساعدات الخارجية. ونجحت هذه الخطة الخمسية الثانية في تحقيق معظم أهدافها إذ بلغ متوسط معدل النمو السعودي للانتاج المحلي الاجمالي ٨٫٤٪ بينما حقق القطاع غير النفطي نموا بمعدل سنوي قدره ١٥٫٨٢ ٪ وكان رائعا خلال ذلك السيطرة على التضخم إذ لم يتعد ٦ ٪ فقط. كما كان أروع أهداف تلك الخطة وهي تسعى إلى تحقيق معدل مرتفع من النمو الاقتصادي، وتعمل على توسيع القاعدة الاقتصادية للمملكة حتى يخف اعتمادها على صادراتها من الزيت الخام، وإلى تنمية القوى البشرية عن طريق التوسع في التعليم والتدريب ورفع المستوى

الصحي، وعلى زيادة الرفاهية لجميع فئات المجتمع، وعلى دعم الاستمرار الاجتماعي في مواجهة التغييرات الاجتماعية السريعة هي تحقيق ذلك كله في إطار الحفاظ على القيم الاسلامية، الدينية والخلقية.

ثم شهد جلالته، قبل رحيله، فترة من الخطة الخمسية الثالثة التي بدأت عام ١٩٨٠م والتي بلغ إجمالي المرصود لها ٧٨٢٫٨ مليار ريال، والتي قصد أن يتم التركيز فيها على تنمية الموارد البشرية والقطاعات الانتاجية في الاقتصاد القومي.

وطبيعي أنه لن يتسع المجال هنا لعرض التطور الهائل الذي حدث في المملكة في كافة الميادين على أننا سنذكر فقط إشارات له إذ يتطلب عرضه كثيرا من المؤلفات فقد بلغ ما رصد للقطاعات العسكرية مثلا في الموازنة المالية الأخيرة ٩٢ مليار و ٨٨٩ مليون ريال، ولم ننس بعد الضجة التي قامت بعد ما تملك الجيش السعودي طائرات إف- ١٥ وبعد أن أصبحت طائرات الاواكس في **حوزته**. وفي مجال التعليم يتم تشييد ٥٠٠ مدرسة جديدة للبنين والبنات كل عام وصار عدد الجامعات سبعا، وفي مجال الصناعة والكهرباء يكفي أن نشير إلى المجمّعين الصناعين في الجبيل وينبع، وفي قطاع المواصلات أصبح لدى المملكة أحدث شبكة طرق من نوعها في الشرق الأوسط إذ تم رصف ٢٤ ألف كيلو متر من الطرق السريعة و ٢٠ ألف كيلو متر من الطرق الزراعية، وفي ميدان الصحة تضمنت خطة التنمية الثالثة إنشاء ٣٦ مستشفى جديدا بطاقة اجمالية قدرها ٧٥٥٠ سريرا، وعلى صعيد الاتصالات البرقية والهاتفية أصبحت المملكة من أولى دول العالم حيث ستصل طاقة السنترالات بنهاية الخطة الخمسية الثالثة بإذن الله إلى مليون و ١٧٧ ألف خط، وفي مجال الاسكان لم يعد المسكن يمثل مشكلة بالنسبة للمواطن بعد المساعدات التي يتلقاها من صندوق التنمية العقاري...

وكان جلالته -رحمه الله- حريصا غاية الحرص على أن يعم الخير كل مناطق المملكة الواسعة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ووسطا: كلها تتوزع فيها المشروعات والإنشاءات كل حسب طبيعتها وإحتياجاتها. وكانت أسعد أيامه هي التي التقى فيها برعاياه في جميع هذه المناطق وهو يفتتح مشاريع الخير، ويسمع منهم مطالبهم ويأمر بتلبيتها. ورغم متاعبه الصحية- رحمه الله- فقد كان يُصرّ أحيانا على التنقل بالبر، وكمثال واحد على ذلك ما كان من إصرار جلالته في محرم ١٤٠١ هـ حينما كان يزور منطقتي القصيم وحائل على أن يقطع المسافة وطولها ٤٠٠ كيلو مترا عن طريق البر من أجل أن يلتقي بمواطني الهجر والقرى على طول تلك الكيلو مترات مدشنا في طريقه صوامع الغلال ومطاحن الدقيق بالقصيم وغيرها من المنشآت.

ولهذا كله ليس بعجيب أن نجدنصيب الفرد السعودي من الدخل القومي قد تجاوز اليوم مبلغ ٥٠ ألف ريال وكان عام ١٣٩٥/٩٤ مبلغ ١٧ ألف ريال.

إننا بعد هذا العرض السريع المقتضب للتنمية في عهد جلالته يمكن أن نطلق عليه عهد الرخاء أو عهد الإنسان السعودي فقد كان الملك إنسانا قبل كل شيء، وكان تلقينه الحق وتربيته الإسلامية وطباعه الرقيقه قد جعلت الإنسان عنده محور إهتمامه. وإذا كان الإنسان السعودي هو مسئوليته الأولى باعتباره ملكا على السعودية. فإن صفته كخادم للحرمين الشريفين قد جعلت الإنسان المسلم موضع إهتمامه كذلك، وغني عن البيان أن يكون للانسان العربي نفس الوضع عنده فبلاده هي موطن العرب الأول وكانت القضية الفلسطينية عنده- كما كانت عند سلفه العظيم فيصل- هي التي اجتمعت فيها محنة المسلمين والعرب معا ففيها القدس الشريف الذي دنّسته أقدام الصهيونية.

فمنذ تولى جلالته مقاليد الحكم كان خير عون لدعاة نشر الدين الإسلامي الحنيف في مختلف أرجاء العالم، وقدّم جلالته الكثير الكثير في سبيل إنشاء المساجد والمدارس الإسلامية ومساعدة المسلمين في المناطق الفقيرة، وتقديم المساعدات الاقتصادية للدول الإسلامية التي تحتاج إليها. ومنح الملك الراحل إهتماما خاصا لقضايا الأقليات الإسلامية لتخفيف الضغوط عليها. وكان جلالته وراء طباعة الكتب الإسلامية ونشرها، ودعم البحوث الدينية، وترجمة الدارسات الإسلامية إلى غير الناطقين بالعربية. ومساعدات جلالته لقضية المجاهدين الأفغان ضد الغزو الشيوعي أكبر من أن تذكر.

ودعا جلالته إلى عقد القمة الإسلامية الثالثة في مكة في رحاب بيت الله الحرام، وترأس المؤتمر الاسلامي وتضرع إلى الله يوم إفتتاح جلسات القمة: ١٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يسدد خطاهم. وقد إنبثقت عن هذا المؤتمر لجنة المصالحة الإسلامية التي تعمل من أجل وقف القتال بين إيران والعراق، وكان جلالته دائم التشجيع على تحقيق ذلك ولعل ماأعلنه العراق من جانبه بالتزام وقف القتال قبل وفاة جلالته بقليل ما يؤدي إلى إيقاف هذا النزيف الذى ينهك المسلمين.

أما قضية الشعب الفلسطيني المسلم فقد أولاها- رحمه الله- عناية خاصة، وقدّم هو وحكومته كل العون والدعم المادي والسياسي للشعب الصامد في الأرض المحتلة. ويوم ثار هذا الشعب ثورته العارمة أطلق جلالته النداء يوم الاربعاء ٢٠ جمادى الثانى ١٤٠٢هـ/ ١٤ إبريل ١٩٨٢م بتعطيل العمل في المصالح الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة تعبيرا عن التضامن معه، وقد أثبتت الاستجابة الكبيرة التي قوبل بها نداء الإضراب في كافة أرجاء العالم

الإسلامي مدى المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها جلالته.

وأخشى أننا لن نستطيع هنا حتى مجرد الاشارة إلى كافة ميادين الخير والعطاء مثل ترسيخ الأمن الداخلي، ورعاية الشباب، والرعاية الاجتماعية للمحتاجين، ورعاية الحجيج، إلى غير ذلك...

وفي مجال إحساس الفقيد العظيم بمسئوليته العربية كان سعيه لإحداث تنسيق للمواقف السياسية والخطط الاقتصادية بين دول الخليج لضمان إستقرارها وكذلك قدرتها على التصدي للأخطار وإنتهى الأمر بنجاح بتأسيس مجلس التعاون الخليجي عام ١٤٠١ هـ وحضره جلالته في إنعقاده على مستوى القمة.

وقبل وفاته- رحمه الله- بأيام، وحينما غزت إسرائيل لبنان لابادة المقاومة الفلسطينية ومعاقبة الشعب اللبناني كان يعيش المأساة لحظة بلحظة، ووجه كل إهتمامه إلى وقف هذه المأساة.

ويبدو أن هذه المآسي قد أنهكت قلب جلالته، وهو القلب الذي كان قد تحمّل عدة جراحات خلال أكثر من عشر سنوات، ومن هنا لانرى أنه من باب التجاوز أن نسمي جلالته شهيد الإسلام والعروبة.

وبعد فإنه إذا كنا قد عرضنا كيف حفظ جلالته الرسالة التي تسلّمها من جلالة الفيصل، وكيف حقق الرخاء للانسان السعودي خاصة، وكيف أسهم بالكثير في سبيل الإسلام والعروبه بل والإنسانية جمعاء فإنه ينبغي أن نذكر أن يده اليمنى في التخطيط والتنفيذ والمتابعة كانت يد ولي عهده الأمين الأمير فهد ابن عبدالعزيز (آنذاك) الذي كان كذلك نائبا أول لرئيس مجلس الوزراء، ويد الأمير عبدالله الذي كان آنذاك نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء **واخوانه** الميامين والوزراء والمسئولين الذين كانوا جميعا على مستوى المسئولية والإخلاص، ولهذا لم يكن غريبا أنه بعد وفاة جلالته مباشرة أنتقلت مقاليد الحكم في سهولة ويسر إلى يد جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز الذي بايعه الشعب بالملك كما بايع ولي عهده الأمير عبدالله بولاية العهد بكل الحب مما أثبت للعالم أجمع أن الملك الذي شيّده عبدالعزيز آل سعود من نحو خمسين عاما تماما هو ملك وطيد يدعمه حب الشعب وولاؤه لحكامه من آل سعود الذين رأى على أيديهم الاستقرار والأمن والرخاء وعلو المكانة.

فالشعب الذي أحب خالداً- غفر الله له- هو نفس الشعب الذي بايع فهداً وكله ثقة في الله وفي إقتدار الملك فهد وولي عهده الأمير عبدالله وحكومته الرشيدة على إستمرار مسيرة الرخاء الذي سيتحول في عهدهم إلى إزدهار بإذن الله.